استلهام التراث الأدبي في شعر ابن الساعاتي

الباحث / إيهاب عبد الباسط عبد العزيز الأعصر

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة استلهام التراث الأدبي في شعر ابن الساعاتي، وذلك من خلال الكشف عن العلاقة القائمة بين نصوص الشعراء السابقين وبين شعر ابن الساعاتي، وذلك من خلال تلك العلاقة نستطيع الوقوف على جوانب التشابه والاختلاف بين هؤلاء ومدى التأثر بهم ؛ لمعرفة الأحداث المتشابكة في عصر كل شاعر، وقد بينت الدراسة أن التضمين كان له النصيب الوافر في شعره كما كشفت الدراسة عن توظيف ابن الساعاتي للمثل العربي سواء كان شعريًّا أم نثريًّا، مما يدل على أنه كان مدركًا أهمية المثل العربي في تقوية المعنى وتأكيده.

Inspiration for the literary heritage in the poetry of Ibn al-Saati

Prepared by researcher / Ehab Abdel-Basit Abdel-Aziz Al-Aasar

Abstract

This research seeks to study the inspiration of the literary heritage in the poetry of Ibn al-Saati, by revealing the relationship existing between the texts of former poets and the poetry of Ibn al-Saati, and through that relationship we can find out the aspects of similarities and differences between these and the extent of being affected by them. To know the intertwining events in the era of each poet.The study showed that the inclusion had an abundant share in his poetry. The study also revealed that Ibn al-Saati's employment of the Arabic proverb, whether poetic or prose, indicates that he was aware of the importance of the Arab proverb in strengthening and confirming the meaning.

المقدمة

لا شك في أن الموروث الأدبي لأمة من الأمم هو الرسم البياني والسجل الحضاري " للممارسة الجماعية والفردية على السواء، فهو يمثل شكل الثقافة ومضمونها بوجه عام، وقد اهتم ابن الساعاتي بتوظيف نصوصه من التراث الأدبي العربي في شعره ؛ وذلك لاشتراكه مع هذه النصوص في كثير من الرؤى والمعاني، ولقدرتها على التعبير عن مشاعره بتركيز أكبر، ولإحساسه أن هذه النصوص التراثية تغني الشعر فنيًّا وموضوعيًّا، وتقدمه للمتلقي بحيث تحظى عنده بقبول أكبر، إضافة إلى ما توحيه للمتلقي من طمأنينة، نتيجة لتيقنه باتصال الشاعر بتراث من سبقوه "[١].

وابن الساعاتي كغيره من شعراء عصره الذين اطلعوا على تراث سابقيهم فنهلوا منه واقتفوا أثره، فقد كان هذا التراث هو المثل الأعلى والأنموذج الأسمى الذي يقتدى به ويتمثل به في الصياغة الشعرية على مر العصور الأدبية المثالية.

وقد قام ابن الساعاتي باستحضار هذه النماذج الرفيعة ويوظفها في شعره، دلالة على شاعرية العصر الذي عرف باسترجاع الموروث الأدبي وتوظيفه في الأشعار تماشيًا مع روح العصر وعدم انفصاله عن ماضيه العريق.

وقد سيطرت النصوص القديمة على اهتمام هؤلاء الشعراء فنهلوا من ألفاظ تلك النصوص ومعانيها ما يتوافق وتجربتهم الشعرية، ولعل ابن الساعاتي كان أحد هؤلاء الشعراء الذين أكثروا من استلهام تلك النصوص الأدبية بأشكال مختلفة، وهي ظاهرة لافتة في شعره تفيض بتداخلات نصوصية كثيرة، بدءًا من العصر الجاهلي وانتهاء بعصره، حيث استحضر كثيرًا من النصوص الشعرية القديمة وأعاد صياغتها من جديد وفق سياقات خاصة، تتسق ورؤيته الشعرية، فأظهر براعة كبيرة ومقدرة فائقة في تعامله مع النصوص الأدبية، فطبعها بطابعه الخاص به، وبمعجمه الشعري المتفرد به، وحمَّلها شحنات دلالية خاصة تعبر عن رؤاه الشعرية.

ولعلنا في هذا الإطار نشير إلى قضية التضمين، فقد اتسع نطاقها، مما حدا بالنقاد إلى الاعتناء به وتحديده بدقة خشية التباسه بالسرقة، فهذا ابن رشيق يقول:" التضمين: هو قصدك إلى البيت من الشعر، أو القسيم، فتأتي به في آخر شعرك، أو في وسطه، كالمتمثل " [٢].

وقد ازداد ولع الشعراء المتأخرين بالتضمين، فقد ذكر البغدادي " فمنهم من يورد البيت بأسره، والبيتين، ومنهم من يقتصر على الأنصاف، ومنهم من يأتي بالأرباع، وبما دون ذلك "[٣]. ولعل تعريف ابن الأثير أكثر إيضاحًا لمصطلح التضمين ؛ إذ يقول عن التضمين هو " أن يضمن

الشاعر شعره، والناثر نثره كلامًا آخر لغيره، قصد الاستعانة على تأكيد المعنى المقصود، ولو لم يذكر التضمين لكان المعنى تامًّا، وربما ضمن الشاعر البيت من شعره بنصف بيت أو أقل منه "[٤].

وعلى ما يبدو اتفاق العلماء على معيار واحد لصحة هذا التضمين، وبعده عن السرقة، هذا المعيار هو شهرة البيت المضمن، مع اختلاف درجة هذا الاتفاق من عالم لآخر.

فابن حجة الحموي الذي يخرج عن هذا الاتفاق، ويرى من شدة العلاقة بين البيت المضمن والنص المتضمن صورة لنباهة الكاتب الآخذ، وحبكة النص وتلاحمه يورد التوظيف بمعنى الإيداع، ويحدده بقوله " والإيداع الذي نحن بصدده هو أن يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطىء له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له وأحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا أو صدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها وينظم لها المودع صدورا لغرض اختاره وبالعكس " [٥].

إن التضمين صورة من صور استلهام التراث وتمثله وتوظيفه " وإقامة تواصل نفسي بين حالتي: الغياب والحضور، حيث يؤدي بالضرورة إلى تكثيف المعطى الفني، والتعبير بدفقة لغوية مركزة عما كان الشاعر مضطرًا إلى شرحه أو الإسهاب فيه "[٦].

ومصطلح التضمين هو " مصطلح تراثي أقرب إلى التناص، وذلك فيما ينبعث من نص أو نصوص، أو يتماهى في تحاور بين نصين، كأنه مقابل لما تعرفه من استعداء قولي أو نصي إن جاز التعبير، يتخذ مسارات تتعدد ودلالات تتنوع على حسب قدرة استخدامها والتمكن من تلاصق الصوتين السابق واللاحق، وقد يكون من مهامه توثيق دلالة، أو تأكيد موقف، أو ترسيخ معنى، أو لمؤازرة النص إما بتضمين صريح، وإما بتلميح وتلويح " [٧].

كما ينظر موسى ربابعة " إلى التضمين على أنه مظهر من مظاهر تفاعل النصوص وتداخلها، ولهذا ليس هناك من حيز إذا ما نظر إلى هذا المفهوم في ضوء مفهوم معاصر هو مفهوم التناص "[٨].

وجمال التضمين ليس مطلقًا، فهو مرتبط بالنص وطبيعته شعرًا كان أو نثرًا، وما يتوافر هنا قد لا يتوافر هناك [٩].

كما يورد التوظيف – قديمًا – بمعنى الاستعانة، حيث يورده ابن أبي الإصبع بقوله: " هو أن يستعين الشاعر ببيت لغيره، في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد ما بينه وبين أبياته، وخصوصاً أبيات التوطئة له، وقد شرط بعض النقاد التنبيه عليه، إن لم يكن البيت

مشهوراً، وبعضهم لم يشترط ذلك، وهو الصحيح، فإن أكثر ما رأينا ذلك في أشعار الناس غير منبه عليه، وأما الناثر فإن أتى في أثناء نثره ببيت لنفسه سمى ذلك تشهيراً، وإن كان البيت لغيره سمى استعانة " [١٠].

والفرق بين الاستعانة والمواربة أن " المواربة تكون في كلام المتكلم نفسه، والاستعانة لا تكون إلا بكلام غيره، وإن ابتدأ ببيت غيره وبنى عليه فذلك تأسيس، مشتق من أس البناء، فإن هذا الشاعر يكون قد جعل بيت غيره أساسًا بنى عليه شعره " [١١].

ويجيء التوظيف عند المتقدمين بمعنى النسخ، ويعني " أخذ المعنى واللفظ جميعا أو في أخذ المعنى وأكثر اللفظ لأنه مأخوذ من نسخ الكتاب وعلى ذلك فإنه ضربان الأول يسمى وقوع الحافر على الحافرِ "[١٢]، وهذا النوع أدخله ابن الأثير في باب السرقة، أو الأخذ الخالص.

ويدخل في هذا الباب مصطلح آخر، يسمونه السلخ وهو أخذ بعض المعنى، أو عرضه عرضًا جديدًا، أو تحويره، وهو ما يسمى عند المحدثين بالتحوير.

كما يطلق اسم الاستشهاد على التوظيف، فقد ذكر القلقشندي في صبحه أن الاستشهاد " وهو أن يورد البيت من الشعر أو البيتين أو أكثر في خلال الكلام المنثور مطابقا لمعنى ما تقدم من النثر ولا يشترط فيه أن ينبه عليه بقال ونحوه كما يشترط في الاستشهاد بآيات القرآن والأحاديث النبوية " [١٣].

والباحث سوف يحاول الكشف عن طبيعة تلك العلاقة القائمة بين نصوص الشعراء السابقين ونصوص شاعرنا ابن الساعاتي ؛ " لأن العلاقات والتشابكات بين النصوص أصبحت عملية مهمة في الكشف عن خصوصية النصوص الأدبية من خلال علاقتها مع النصوص الأخرى "[١٤].

المبحث الأول: توظيف الشعر العربي القديم

لقد كان الشعر الجاهلي حاضرًا في شعره ابن الساعاتي، من حيث الصورة والأسلوب، فمن ذلك قوله مخاطبًا نفسه: (من المنسرح)

وأنت من جيل ذا الزمان فما أرهب إلا قِلاك أو ملكْ [١٥]

أقمْ صدورَ المطيِّ يا ساريَ الليلِ وعجِّلْ دين العلا قِبَلكْ

ما صاغك الله للمكارمِ إنْ خالفتَ أمرَ الحجى فلا جبلكْ

نجده في هذه الأبيات متأثرًا بقول الشنفرى في لاميته: (من الطويل)

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ[١٦]

ومن ذلك قوله: (من المتقارب)

رفيعُ العمادِ طويلُ النجادِ حديدُ الفؤادِ رحيبُ العطَنْ[١٧]

نجده متأثرًا بقول الخنساء ؛ حيث يخلع على ممدوحه صفات صخر، فقد نقله من الرثاء إلى المدح وكذلك يقول في موضع آخر: (من المتقارب)

رفيعُ العمادِ طويلُ النجادِ يمدُّ إلى المجدِ باعًا مديدا [١٨]

هو المرء تعرفه في النديِّ حِلمًا رصينًا وقولا سديدا

كذلك في موضع آخر يقول: (من الطويل)

سقى الله تلك الدار دَرَّ سحابةٍ تعيد غنى فقر المهامه والقفرِ [١٩]

متى وقفت تبكي على عرصاتها تقل هذه الخنساء تبكي على صخرِ

ألم ترني أبكي على الهجرِ لوعةً ومن قبلها قد كنتُ أبكي من الهجرِ

والخنساء ترثي أخاها صخرا بقولها: (من المتقارب)

أَعَينَيَّ جودا وَلا تَجمُدا أَلا تَبكِيانِ لِصَخرِ النَدى [٢٠]

أَلا تَبكِيانِ الجَريءَ الجَميلَ أَلا تَبكِيانِ الفَتى السَيِّدا

طَويلَ النِجادِ رَفيعَ العِمادِ سادَ عَشيرَتَهُ أَمرَدا

إِذا القَومُ مَدّوا بِأَيديهِمِ إِلى المَجدِ مَدَّ إِلَيهِ يَدا

فقد استعار الشاعر من بكاء الخنساء لأخيها صخر صورة لبكائه على فراق محبوبته، وبكائه على ديارها، فقد كان الشاعر في حال بكائه على ديار المحبوبة الراحلة كحال الخنساء تبكي على أخيها.

يقول ابن الساعاتي مادحًا: (من مجزوء الكامل)

قيَّدتني بالجودِ عن كلِّ الأحبةِ والنواحي[٢١]

وحبستَني عنهم فقل لنداك يطلقُ من سراحي

نجده في هذين البيتين متأثرًا بقول المتنبي في مدحه سيف الدولة الحمداني: (من الطويل)

وَقَيَّدتُ نَفسي في ذَراكَ مَحَبَّةً وَمَن وَجَدَ الإِحسانَ قَيداً تَقَيَّدا[٢٢]

إِذا سَأَلَ الإِنسانُ أَيّامَهُ الغِنى وَكُنتَ عَلى بُعدٍ جَعَلنَكَ مَوعِدا

كذلك نجده متأثرًا بأبي تمام وذلك حين يقول: (من الطويل)

بلوتُ أمورَ الناسِ قبلك جاهدًا فكلُّ سليمِ الودِّ غيرُ سليمِ[٢٣]

وأرسلتُ عيني في الزمانِ وأهله فما عثرتْ أجفانها بكريمِ

فهو قد اختبر الناس وأحوالهم ووجد أن كل سليم الود غير سليم، فوده مشوب غير خالص، كما أرسل عينه في الزمان وأهله ولكنه لم يجد كريمًا، وذلك في قول أبي تمام: (من الكامل)

أَيقَظتَ لِلكَرَمِ الكِرامَ بِناطِقٍ لِنَداكَ أَظهَرَ كَنزَ كُلِّ قَديمِ[٢٤]

وَلَقَد نَكونُ وَلا كَريمَ نَنالُهُ حَتّى نَخوضَ إِلَيهِ أَلفَ لَئيمِ

كما أننا نجده مستفيدًا من مبالغات سابقيه، فيرى أن عشقه أهزل جسمه حتى لم يبق له ظل يرى، حيث يقول: (من الكامل الحذذ)

ونُحِلتُ حتى ظلَّ جسميَ من ولعِ السقامِ به بلا ظلِّ[٢٥]

ويقول: (من الطويل)

نُحِلتُ إلى أنْ لمْ ير الطيفُ مضجعي ولم يبدُ في ظلِّ الغزالةِ لي ظلُّ [٢٦]

نجده متأثرًا بقول المتنبي: (من البسيط)

أَبلى الهَوى أَسَفاً يَومَ النَوى بَدَني وَفَرَّقَ الهَجرُ بَينَ الجَفنِ وَالوَسَنِ [٢٧]

روحٌ تَرَدَّدُ في مِثلِ الخِلالِ إِذا أَطارَتِ الريحُ عَنهُ الثَوبَ لَم يَبِنِ

كَفى بِجِسمي نُحولاً أَنَّني رَجُلٌ لَولا مُخاطَبَتي إِيّاكَ لَم تَرَني

عانى ابن الساعاتي من لوعة العشق، ومن شدة الفراق، حتى إن هذا العشق أضعفه وأهزل جسمه، فلم يعُدْ له ظلٌّ يُرى من شدة وجده وعشقه.

كذلك نجده في حنينه إلى حبيبته يقول: (من الطويل)

أصانعُ فيها الصبرَ لو أستطيعُهُ وأنشدُ عنها سلوةً لو أصيبُها[٢٨]

وإني لأستهدي شذا نفحاتها وما شبَّ نارَ الوجدِ إلا هبوبُها

يحاول أن يتصبر شاعرنا ويطلب السلوى لعلها يصيبها، كما يستهدي رائحة نفحاتها العطرة السلام متأثرًا بقول (العباس بن الأحنف) في حبيبته (فوز) (من الطويل)

وَإِنّي لَأَستَهدي الرِياحَ سَلامَكُم إِذا أَقبَلَتْ مِن نَحوِكُم بِهُبوبِ [٢٩]

وَأَسأَلُها حَملَ السَلامِ إِلَيكُمُ فَإِن هِيَ يَومًا بَلَّغَت فَأَجيبي

ويقول ابن الساعاتي في القصيدة نفسها: (من الطويل)

نعم أنتِ من هذا الزمانِ وأهلهِ فلا عجبٌ إن قلَّ منكِ نصيبُها[٣٠]

نجد شاعرنا ابن الساعاتي في هذا البيت أيضًا متأثرًا بقول (قيس بن الملوح) في ليلى العامرية: (من الطويل)

أَهابُكِ إِجلالاً وَما بِكِ قُدرَةٌ عَلَيَّ وَلَكِن مِلءُ عَينٍ حَبيبُها[٣١]

وَما هَجَرَتكِ النَفسُ أَنَّكِ عِندَها قَليلٌ وَلَكِن قَلَّ مِنكِ نَصيبُها

يقول ابن الساعاتي متغزلا: (من الطويل)

خليليَّ يوم المنحنى هل علمتما بأنَّ قتيلَ الغانياتِ شهيدُ[٣٢]

نجده كذلك متأثرًا بقول جميل بثينة: (من الوافر)

وَما بَكَتِ النِساءُ عَلى قَتيلٍ بِأَشرَفَ مِن قَتيلِ الغانِياتِ[٣٣]

يقول ابن الساعاتي متغزلا: (من الطويل)

ونامت درايه وطرفيَ ساهرٌ رجاءَ كرى عذبٍ إليه يؤولُ[٣٤]

لزدتُ به علمًا تعفَّى جمالُه وما يتساوى عالمٌ وجهولُ

يتأثر بلامية السموءل بن عادياء في قوله: (من الطويل)

سَلي إِن جَهِلتِ الناسَ عَنّا وَعَنهُمُ فَلَيسَ سَواءً عالِمٌ وَجَهولُ[٣٥]

ويقول ابن الساعاتي في الرثاء: (من الطويل)

وكلُّ ابنِ أنثى سالكٌ من جهاتِها سبيلا إلى بابِ المنيةِ مهْيَعُ [٣٦]

نجده في هذا البيت متأثرًا بقول كعب بن زهير في لاميته: (من البسيط)

كُلُّ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَومًا عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ [٣٧]

كذلك نراه متأثرًا بلامية الشنفرى في قوله: (من الطويل)

فيا صاحبي رحليَّ والليلُ عابسٌ لعلَّ السُّرى نهجٌ إلى ضاحكِ الصبحِ[٣٨]

أقيما صدورَ اليعملاتِ صبابةً بكلِّ جوادٍ مثل عاليةِ الرُّمحِ

حيث يقول الشنفرى في مطلع قصيدته: (من الطويل)

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيَّكُم فَإِنّي إِلى قَومٍ سِواكُم لَأَمَيلُ[٣٩]

فَقَد حُمَّت الحاجاتُ واللَيلُ مُقمِرٌ وَشُدَّت لِطِيّاتٍ مَطايا وَأَرحُلُ

يقول ابن الساعاتي: (من الطويل)

فولَّتْ له فرسانُ فكري هزيمةً ولمْ تخلُ حربٌ من هزيمٍ وهازمِ [٤٠]

وها أنت قد أصبحت خصمًا وحاكمًا ويا لك من خصمٍ كريمٍ وحاكمِ

يقول إن أفكاره قد ولت منهزمة، وكذا أي حرب يكون فيها المهزوم والمنتصر، وأنت قد أصبحت خصمًا وحاكمًا في آن واحد، ولكنك خصم كريم لا يظلم وحاكم عادل، متأثرًا بقول المتنبي: (من البسيط)

يا أَعدَلَ الناسِ إِلّا في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وَأَنتَ الخَصمُ وَالحَكَمُ [٤١]

ولا شك في أن المتنبي له دور كبير وتأثير عظيم في شعر ابن الساعاتي لا سيما في المدح، فإنك تجده يخلع على ممدوحه من صور المتنبي، ومن ذلك قوله: (من الطويل)

سيوفٌ تطير الهام عن وكناتها بحيث جناح النقع وجفُ القوائمِ [٤٢]

فأقسم لو تعطو السماء ظباتها نثرنَ نجوم الليل نثرَ الدراهِم

كما يبدو تأثر ابن الساعاتي بصور المتنبي واستعاراته، وذلك حيث يقول المتنبي في مدح سيف الدولة: (من الطويل)

نَثَرتَهُمُ فَوقَ الأُحَيدِبِ كُلِّهِ كَما نُثِرَت فَوقَ العَروسِ الدَراهِمُ [٤٣]

تَدوسُ بِكَ الخَيلُ الوُكورَ عَلى الذُرى وَقَد كَثُرَت حَولَ الوُكورِ المَطاعِمُ

نجد ابن الساعاتي في مدحه " أن سيوف الممدوح قوية صارمة لقوة حامليها، فهي تقتلع رءوس الأعداء وترمي بهم، كما أن الشاعر يرسم صورة نفسية لغبار المعركة فجعله إنسانًا خائفًا تغير لونه من الخوف، ولم يعد قادرًا على تمالك نفسه والوقوف على قدميه، كما أن السماء تشارك فرسان المعركة حماسهم فلو أمسكت أحد سيوفهم لقامت بنثر النجوم كما تنثر الدراهم " [٤٤].

ويمكن تفسير تأثير المتنبي في شعر ابن الساعاتي إلى أن المتنبي " يحرض اللغة على نفسها ؛ لتعطي ما ليس فيها، فلو قلنا إن ذلك يرجع لموهبته أو ثقافته أو تجربته وخبرته في الحياة، فإننا لا نقول شيئًا ذا بالٍ ولا نقدم رأيًا جديدًا ؛ لأنه قول ينطبق على شعراء ومفكرين كثر، ولكن اجتيازه لمحاذير ما يجب وما لا يجب ومداهمته المحظور، جلب له الدهشة والعجاب فتدافع نحوه الناس، وسكبوا في راحتيه الذهب والخلود "[٤٥].

يقول عبد اللطيف شرارة في كتابه " شعراؤنا القدامى ":" لقد كان الناس في العراق والشام ومصر وإيران وأقطار المغرب العربي وسائر مواطن اللسان العربي يستشهدون بأبيات المتنبي في مختلف المناسبات وما زال هذا الاستشهاد يصدر حتى في أيامنا هذه عن أناس يمقتون أبا الطيب ولا يطيقون ذكره، وليس لهذه الظاهرة من دلالة إلا أن شعر هذا الرجل فرض نفسه على محبيه

وأعدائه معًا لما يحمل في قراراته من صحة الفكر وقواعد السلوك المنشود في حياة الفرد والمجتمع "[٤٦].

ويقول مادحًا أحدهم ومتواصلا مع صورة المتنبي في نثر الدراهم: (من الكامل)

داسوا الممالك فاغتدت أقدامهم مسطورة الآثار في جنباتِها[٤٧]
وتمطقوا ثدي الليالي صبيةً فلأجلهم صحَّتْ على علاتِها
قومٌ إذا سهرت جفونُ صريخهم فجعوا جفونَ سيوفهم بسِناتِها
مثل الجداول في الكُماةِ إذ انبرت وردتْ ورودَ الهِيمِ في هاماتِها
في حيثُ أوجهُهمْ كأنَّ أكفَّهم نثرت دنانيرًا على قسماتِها

نجد قوم الممدوح قد اعتادوا الحرب والقتال منذ نعومة أظفارهم، ويوظف ابن الساعاتي صورة رائعة حيث يصورهم بالطفل الرضيع الذي يتذوق ثدي أمه، وأمه هي الليالي المظلمة، ولكنهم اعتادوا عليها وتغلبوا على شدائدها، كما أن وجوههم مشرقة كالبدور، وكأنهم ألقوا دنانير أضاءتها.

يقول ابن الساعاتي في رثاء ولده: (من الطويل)

وكانت دموع العين ذخرًا لحادثٍ فأنفقَ في تلك النوى ذلك الذُّخرُ[٤٨]
بمن يستغيث المستجيرُ من الردى إذنْ وإلى من يشتكي الرجلُ الحرُّ

نجد عاطفة شاعر يتفطر قلبه حزنًا وكمدًا على موت ابنه ويذرف الدموع الغزيرة التي لم يذرفها من قبل، مستحضرًا قول أبي فراس الحمداني في رثاء أمه: (من الوافر)

إِذا اِبنُكِ سارَ في بَرٍّ وَبَحرٍ فَمَن يَدعو لَهُ أَو يَستَجيرُ[٤٩]
حَرامٌ أَن يَبيتَ قَريرَ عَينٍ وَلُؤمٌ أَن يُلِمَّ بِهِ السُرورُ
وَقَد ذُقتِ الرَزايا وَالمَنايا وَلا وَلَدٌ لَدَيكِ وَلا عَشيرُ
وَغابَ حَبيبُ قَلبِكِ عَن مَكانٍ مَلائِكَةُ السَماءِ بِهِ حُضورُ
لِيَبكِكِ كُلُّ يَومٍ صُمتِ فيهِ مُصابَرَةً وَقَد حَمِيَ الهَجيرُ

يقول ابن الساعاتي مادحًا: (من الخفيف)

قفْ ترى مصرعَ الألوفِ عيانًا بين مغْذى من النَّدى ومراحِ[٥٠]
ما حمى المجدَ مثل مالٍ مباحٍ فتعجبْ من فعلِ حامٍ مباحِ
فهو السيف بين حدٍّ من الجدْ دِ وصفحٍ من التقى لا المزاحِ

نجد أن ممدوح ابن الساعاتي كريم في عطائه، يبذل هذه الأموال لمن يستحقها بعطاء وسخا لا نظير له، كما أن ممدوحه شجاع قوي فهو كالسيف في الجد له حد قاطع، وإذا تسامح فهو لين ناعم، مستحضرًا قول أبي تمام: (من البسيط)

السَّيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ [٥١]

بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

يقول ابن الساعاتي في رثاء والده : (من الطويل)

عداها الغمامُ الجودُ والعامُ ماحلٌ ووجهُ الربيعِ الطَّلْقُ والعامُ مُغْبرُّ [٥٢]

فقد شبه الربيع بإنسان مبتسم طلق المحيا لكنه لم يستمر على هذه الحال، فسرعان ما أصبحت حياته ممحلة، وصارت الدنيا مسودة مغبرة في عينيه، فربيعه لم يكن ربيعًا ضاحكًا كما هو عند البحتري في قوله: (من الطويل)

أَتاكَ الرَبيعُ الطَلقُ يَختالُ ضاحِكاً مِنَ الحُسنِ حَتّى كادَ أَن يَتَكَلَّما [٥٣]

يقول ابن الساعاتي في وصف الليل من قصيدة فريدة له: (من الطويل)

خليليَّ ما بال النجوم كأنما أبى الليل أن تسري بأفق كواكبهْ [٥٤]

تعاظم واطغوغى وألقى بعاعه وأقبل كالبحر الذي أنا راكبهْ

ينادي على صاحبيه متسائلا عن تلك النجوم وحالها، فكأنما ذلك الليل الطويل قد أبى أن تسري كواكبه في ذلك الأفق، فقد تعاظم حتى إنه ألقى كل ما فيه من ثقل وأقبل مثل ذلك البحر الذي يركبه شاعرنا، ثم يقول ابن الساعاتي: (من الطويل)

إذا قلتُ قد ولت وجازت صدورهُ أطلت علينا كالجبال مناكبهْ [٥٥]

ويقول: (من الطويل)

كم استأذنت عيني على فجر خده فما رُفعت أستاره وهيادبهْ [٥٦]

وليس بمرجوِّ الصباح وهذه مشارقه مسوَّدَةٌ ومغاربهْ

مستحضرًا وصف الليل لامرئ القيس في معلقته: (من الطويل)

وَلَيلٍ كَمَوجِ البَحرِ أَرخى سُدولَهُ عَلَيَّ بِأَنواعِ الهُمومِ لِيَبتَلي [٥٧]

فَقُلتُ لَهُ لَمّا تَمَطّى بِصُلبِهِ وَأَردَفَ أَعجازاً وَناءَ بِكَلكَلِ

أَلا أَيُّها اللَيلُ الطَويلُ أَلا اِنجَلي بِصُبحٍ وَما الإِصباحُ مِنكَ بِأَمثَلِ

فَيا لَكَ مِن لَيلٍ كَأَنَّ نُجومَهُ بِكُلِّ مُغارِ الفَتلِ شُدَّت بِيَذبُلِ

كَأَنَّ الثُرَيّا عُلِّقَت في مَصامِها بِأَمراسِ كِتّانٍ إِلى صُمِّ جَندَلِ

ومثل قول النابغة الذبياني: (من الطويل)

كِليني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةُ ناصِبِ وَلَيلٍ أُقاسيهِ بَطيءِ الكَواكِبِ[٥٨]

تَطاوَلَ حَتّى قُلتُ لَيسَ بِمُنقَضٍ وَلَيسَ الَّذي يَرعى النُجومَ بِآيبِ

كما نجد ابن الساعاتي مادحًا القاضي محيي الدين الشهرزوري: (من الطويل)

بحارٌ فإن شاموا بروق غمودهم رأيت بحارًا فاض منها جداولُ [٥٩]

أبا حامدٍ مالي جُهلتُ وإنني لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

إن قوم ممدوحه هم بحار في الكرم، وسيوفهم جداول مما يدل على كثرة عطائهم، ثم يناديه متعجبًا كيف يجهل قدره مع أنه يأتي بما لم تستطعه الأوائل، وهو شطر بيت للمعري: (من الطويل)

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائل[٦٠]

وبعدُ، فقد كان تأثر ابن الساعاتي بالشعر العربي القديم في شتى العصور المختلفة كثيرًا جدًّا، ولعل ذلك " لعدة أسباب منها:

- اطلاع الشاعر على التراث الشعري العربي في مختلف عصوره، وبخاصة العصر الجاهلي والعباسي بشكل كبير، لزيادة تقليد القدماء في هذه الحقبة، وذلك بسبب نظرتهم الإيجابية إلى قيمة الشعر السابق لهم.
- رغبة الشاعر في إشعار المتلقي والممدوح خاصة بثقافته الشعرية تلك.
- كون ابن الساعاتي قد كان مُلِمًّا بنصوص الشعر العربي التراثي، فمن الطبيعي أن يظهر صداها في شعره لا شعوريًّا حتى لو كان المقام الجديد لا يستدعي بالضرورة وجود هذه النصوص "[٦١].

المبحث الثاني: التأثر بالمثل العربي

المثل هو لون أدبي يعبر عن التجارب الإنسانية بل ويحملها، وقد " مكن ذيوعه وانتشاره من احتلال موقع جليل في نفس قائله وسامعه، وصار له مكان الصدارة، من حيث الأهمية والتأثير بين سائر فنون "[٦٢].

والمثل " هو قول مأثور تظهر بلاغته في إيجاز لفظه وإصابة معناه، قيل في مناسبة معينة، وأُخذ ليقال في مثل تلك المناسبة "[٦٣]، ولأهمية الأمثال فقد حرص العرب على جمعها وتدوينها.

ويعد المثل خبرة السابقين متناقلة من جيل إلى الجيل الذي يليه حاملة معها التجربة في طي المثل الذي يمتاز " بإيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة "[٦٤].

وإذا كانت الأمثال مجرد صيغ لفظية لكن في طيها معان ودلالات إنسانية عميقة، متسمة " بالبلاغة في إيجاز لفظه وإصابة معناه "[٦٥]، وهو ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وقنعوا به في السراء والضراء، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وهو أبلغ الحكمة ؛ لأن الناس لا يجتمعون على ناقص، ولذا فالمثل هو قيمة خلقية مقبولة " وهو يمر قبل اعتماده وشيوعه في غربال معايير الشعوب وينم صراحة أو ضمنًا عن هذه المعايير على كل صعيد وفي كل حال يتعاقب عليها الإنسان في حياته "[٦٦].

ولا شك في أن الأمثال تعد مصدرًا من مصادر التراث الأدبي ينهل من الشعراء، وقد عهد الشعراء لتوظيف الأمثال في شعرهم لقبوله واستحسانه في إصابة المعنى.

إن الشاعر عبارة عن " مخزون من التجارب والثقافة والعلوم التي اكتسبها ضمن حياته، فهو محتاج إلى الكم الثقافي الذي يجعله يصوغه ضمن تجربته الشعورية الخاصة التي تظهر وإبداعه وتفرده فيما يصدره، فهو مطالب بالعودة إلى موروثه الثقافي حتى يتسنى له وضع قاعدة صلبة وخاصة ينطلق وإبداعه منها "[٦٧]، فلا وجود لنص " دون نصوص ولا عملية ولادة يقوم بها المولود وحده " [٦٨].

جدير بالذكر أن الموروث هو " منجم طاقات إيحائية لا ينفد له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد " [٦٩]، بل " إن توظيف الشاعر لموروثه عن طريق استخدام الرموز التراثية يضفي على العمل الشعري عراقة وأصالة، ويمثل نوعًا من امتداد الماضي في الحاضر وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة "[٧٠].

فالشاعر إنسان والإنسان " امتداد طبيعي لمن سبقه، ولا يمكن أن يتخلى عن ذلك إلا إذا أراد أن يستأصل وجوده "[٧١]؛ لذلك كان لابد للشاعر " أن يطلع على ما قبله من النصوص الأدبية وغير الأدبية، وأن يظهر هذا الموروث بشكل أو بآخر في نصوصه التي يبدعها "[٧٢]، فإننا نجد وراء كل نص "كل النصوص التي قرأها الناص وتمثلها فاستقرت في الذاكرة، وبدأت تؤدي مهامها في الوعي واللاوعي، وليس بمقدور إنسان لم يقرأ نصوصًا أو يسمع نصوصًا في حياته أن يتحفنا بنص نصفه بالإبداع ولا يمكن أن يصل إلى ذلك الإبداع من غير نصوص "[٧٣]؛ فالنص المكتوب " هو عبارة عن نسيج الأصوات آتية من هنا وهناك " [٧٤].

وكان نقادنا القدامى يرون تفاعل النصوص بل وركزوا على أن يأخذ الشاعر " نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الأمثال "[٧٥]، لذلك كان الشاعر العربي القديم يطلع على تراث سابقيه، وقد عدَّ ابن خلدون شروطًا لصناعة الشعر وإحكامه " أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها " [٧٦]، بل عدَّ من كان خاليًا " من خيار المحفوظ فنظمه قاصر رديء " [٧٧]، حيث اعتمد أن من شروط الشعر " نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة " [٧٨].

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم توظيف التراث " يلتقي مع مفهوم التناص الذي يدل على وجود نص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى، وإن هذه النصوص قد مارست تأثيرًا مباشرًا، أو غير مباشر على النص الأصلي في وقت ما "[٧٩]، واستدعاء النصوص " بأشكالها المتعددة الدينية والشعرية والتاريخية على أساس وظيفي يجسد التفاعل الخلاق بين الماضي والحاضر "[٨٠]، ولا شك في أن الأديب يعمد " في التناص المباشر إلى استحضار نصوص بلغتها التي وردت فيها، كالآيات القرآنية، والحديث النبوي، أو الشعر والقصة " [٨١].

وشاعرنا ابن الساعاتي من هؤلاء الشعراء الذين عنوا بتوظيف الأمثال في شعرهم، فقد استعان بها للتعبير عن معانيه، وعلى الرغم من قلتها إذا ما قورنت بتوظيفه القرآن الكريم، أو الشعر القديم، إلا أنها أسهمت في أداء المعنى، وتوصيل الرسالة بكل دقة ومهارة.

وقد تمثل ابن الساعاتي في شعره من أمثال العرب وصبها في قالب جديد من شعره، ومن ذلك قوله: (من المتقارب)

وهيفاءَ تقتلُ عشَّاقَها برمحِ القوامِ وسيفِ الحورْ [٨٢]

أُسِرُّ إليها بشكوى الهوى فتجهر باللوم فيمن هجرْ

فنحن كما قيل فيما مضى أُرِيها السُّهَى وتُريني القمرْ

نجد محبوبة الشاعر الجميلة ذات القوام الرشيق وحوراء العين، فهو يجهد في حبه لها، لكن حبيبته لا تهتم لكل ما يفعله من أجلها، ولذلك وظف المثل القائل " أريها السها وتريني القمر "[٨٣].

والسهى " هو كوكب صغير خفي في نجوم بنات نعش وأصله أن رجلا كان يكلم امرأة بالخفي الغامض من الكلام وهي تكلمه بالواضح البين فضرب السهى والقمر مثلا لكلامه وكلامها يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئا فأجابه بخلاف مراده، قال الشاعر: (من المتقارب)

شكونا إليه خرابَ السوادِ فحرَّمَ فينا لحومَ البقرْ
فكنا كما قال من قبلنا أريها السها وتريني القمرْ "[٨٤]

يقول ابن الساعاتي أيضًا: (من المتقارب)

وذي خفرٍ عِيل صبري به وما هتك الصبرَ غيرُ الخفرْ [٨٥]
خلوتُ به ليلةً في الزمان فطال بكائي لذاك القِصَرْ
رشفنا رضاب ثغور الكئوس إلى أن تبلَّج وجهُ السَّحرْ
وقد كفر الغيمُ سمط النجوم كما طفح الماءُ فوق الزَّهَرْ
ومن سقم جسمي ومن وجهه أريه السها ويريني القمرْ

ومن توظيفه للأمثال قوله: (من الطويل)

وما الموتُ شخصٌ يتَّقِي بطليعةٍ معودة الأبطال شعث السبائبِ [٨٦]
ولكنهُ يغتالُ خَتْلا نفوسَنا ويسري إلينا في خفيِّ المذاهبِ
يسدِّدُ عن قوسِ القضاءِ سهامَه فما أسهمُ الكُسْعِيِّ أو قوسُ حاجبِ

فالموت يغتال النفوس بسرعة وخفاء، فهو لا يأتي للإنسان مبلغًا عن وجوده، وسهامه ليست كسهام الكسعي لا تصيب هدفها، والكسعي رجل يضرب به المثل القائل " أندم من الكسعي، واسمه محارب بن قيس اتخذ قوسا من نبعة وأتى قترة على موارد الحمر فمر به قطيع منها فرمى عيرا فأمخطه السهم أي جازه وأصاب الجبل فأورى نارا فظن أنه أخطأ ومر به قطيع آخر فصنع صنيعة الأول فأنشأ يقول: (من الرجز)

لا بارك الرحمن في رمى القتر أعوذ بالخالق من سوء القدر
أأمخط السهم لإرهاق الضرر أم ذاك من سوء احتيال ونظر
أم ليس يغنى حذر عند قدر

ثم مر قطيع آخر ففعل فعله الأول حتى رمى خمس مرات كذلك وقال: (من الرجز)

أبعد خمس قد حفظت عدها أحمل قوسى وأريد ردها
أخزى الإله لينها وشدها والله لا تسلم عندي بعدها
ولا أرحى ما حييت رفدها

ثم عمد بها فكسرها على حجر فلما أصبح رأى الأعيار الخمسة مصرعة حوله فندم وقال: (من الوافر)

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني بها لقطعت خمسى
تبين لي سفاه الرأى منى لعمر أبيك حين كسرت قوسي "[٨٧]

والموت كذلك ليس قوسه كقوس (حاجب بن زرارة) المشهور بالوفاء، فالموت لا يعطي وعودًا لأحد ولا يقبل الرهائن كما حدث في قصة (قوس حاجب)، فقد " قال الإمام المرزوقي يعني بالقوس قوس حاجب بن زرارة رهنها عند كسرى وكان السبب في ذلك أن – النبي صلى الله عليه وسلم – كان دعا على مضر وقال: اللهم أشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسني يوسف، فتوالت الجدوبة عليهم سبع سنين، فلما رأى حاجب الجهد على قومه جمع بني زرارة وقال إني أزمعت على أني آتي الملك يعني كسرى فأطلب أن يأذن لقومنا فيكونوا تحت هذا البحر حتى يحيوا، فقالوا: رشدت فافعل غير أنا نخاف عليك بكر بن وائل فقال ما منهم وجه إلا ولي عنده يد إلا ابن الطويلة التيمي وسأداويه ثم ارتحل فلم يزل ينتقل في الإتحاف والبر من الناس حتى انتهى إلى الماء الذي عليه ابن الطويلة فنزله ليلا فلما أضاء الفجر دعا بنطع ثم أمر فصب عليه التمر ثم نادى حي على الغداء فنظر ابن الطويلة فإذا هو بحاجب فقال لأهل المجلس: أجيبوه، وأهدى إليه جزرا ثم ارتحل فلما بلغ كسرى شكا إليه الجهد في أموالهم وأنفسهم، وطلب أن يأذن لهم فيكونوا في حد بلاده، فقال: أنتم معشر العرب أهل غدر فإذا أذنت لهم عاثوا في الرعية وأغاروا. قال حاجب: إني ضامن للملك أن لا يفعلوا، قال: فمن لي بأن تفي أنت ؟ قال: أرهنك قوسي فلما جاء بها ضحك من حوله، فقال الملك: ما كان ليلمسها اقبضوها منه. ثم جاءت مضر إلى النبي – النبي صلى الله عليه وسلم – بعد موت حاجب فدعا لهم فخرج أصحابه إلى بلادهم وارتحل عطارد بن حاجب إلى كسرى يطلب قوس أبيه، فقال: ما أنت بالذي وضعتها. قال: أجل إنه هلك وأنا ابنه. فقال: ردوا عليه وكساه حلة فلما وفد إلى النبي – النبي صلى الله عليه وسلم – أهداها إليه فلم يقبلها فباعها من يهودي بأربعة آلاف درهم، فصار ذلك فخرا ومنقبة لحاجب وعشيرته " [٨٨].

ومن ذلك قوله كذلك: (من الطويل)

إذا ما بذلتَ الوعدَ من دونِ حاجةٍ فقصِّر بما تسطيعُ من عُمُرِ الوعدِ[٨٩]
وإياك والخلفَ الذميمَ وخلْقَه فقد قيل خُلْفُ الوعدِ من خُلُقِ الوغدِ

نجد شاعرنا يجعل الوعد كانه إنسان له عمر يعيشه، ثم يطلب من صاحبه ألا يطيل عمر وعده، بل عليه أن ينجزه، ثم يحذره عن خلف الوعد الذميم، فما ذاك إلا من صفات الإنسان الوغد، موظفًا ذلك المعنى من المثل القائل " آفة المروءة خلف الوعد "[٩٠].

يقول ابن الساعاتي: (من الطويل)

ترِقُّ وفيها قسوةٌ جاهليةٌ هي الذَّمُّ إلا في السيوف القواطعِ[٩١]

عشيَّةَ كم نسرٍ من الخيلِ طائرٍ كفيلُ قرى نسرٍ من الطيرِ واقعِ

وقد استمده من قول الشاعر: (من مجزوء الرجز)

حسبي بعلمي إن نفع ما الذل إلا في الطمع

من راقب الله نزع عن سوء ما كان صنع

ما طار طيرٌ وارتفعْ إلا كما طار وقعْ[٩٢]

يقول كذلك: (من الطويل)

لحى اللهُ من تلقاه لا سائغ الندى ولا خصر النعمى ولا سابغ الظلِّ [٩٣]

أميرًا لو انَّ النِّيلَ في بطن كفِّه لأعطش بطن الأرض والحزن والسهلِ

سواءٌ لديه الماءُ والمالُ ضِنّةٌ فمتْ عطشًا إن كنت تطمعُ في بذلِ

فتًى هو أهدى في المعاصي من القطا وأجمع لكنْ للمخازي من النملِ

يهجو ابن الساعاتي في هذه الأبيات هذا الرجل الذي لم يكرم، إذ هو بخيل مع غناه، حتى إنه لو ملك النيل في كفه لظلت الأرض عكشى، فإن كنت تطمع منه في بذل وعطاء فمت عطشًا منه، فهو أكثر جمعًا للعيوب والمخازي من النمل وأهدى إلى فعل المعصية من القطا، مستمدًّا ذلك من المثل القائل " أهدى من قطاة " [٩٤] والمثل القائل " أجمع من نملة "[٩٥].

ومن الأمثال التي ساعدته في رسم صوره الشعرية المثل القائل " لا في العير ولا في النفير "[٩٦] وهو مثل يضرب لمن لا فائدة ترجى منه في السلم والحرب، وقد وظفه في قوله: (من الكامل الحذذ)

رجلٌ يضيقُ على مجالسِهِ ذرعًا وفيه مخايلُ النَّبْلِ[٩٧]

لينُ الحزامة في قساوته حيٌّ التعجرف ميِّت العدلِ

لا في النفير إذن ولا في العيرِ معْ ـدودٌ ولا في العَقْدِ والحلِّ

يرجو ابن الساعاتي نوال ذلك الرجل الذي لا فائدة منه ولا يرجى منه، فليس بالرجل العادل ولا الحازم، فمثله كالمثل القائل " لا في العير ولا في النفير "

يقول ابن الساعاتي في رثائه: (من الطويل)

شتان ما بين الترنمِ والبُكَا عليك وبين النوح بعدك والسجحِ [٩٨]

فيا نازحًا لا أبعد الله داره نزفت عليه جمة الدمع بالنزحِ

وفي النصح عما ناب للعين شاهدٌ وكلُّ إناءٍ علمُ ما فيه بالنضحِ

ثمة فرق كبير بين الغناء والبكاء على ذلك المتوفى وما بين النوح والسجع، فقد انهمرت دموع شاعرنا غزيرة عليه لفراقه، وقد أفاد من المثل القائل "كل إناء ينضح بما فيه "[٩٩].

قال ابن الساعاتي يمدح الأفضل بن الملك الناصر صلاح الدين في جمادى الآخرة سنة (٥٩٥هـ): (من البسيط)

فاحسمْ بسيفِك داءَ الناكثين فمن فضيلةِ السيفِ أنْ تُشفَى به العللُ[١٠٠]

وابجحْ فليس لخلقٍ عندما صنعتْ كفَّاكَ لا ناقةٌ فيها ولا جملُ

يطلب شاعرنا من ممدوحه أن يحسم بسيفه وسلطانه الناكثين والمخالفين عهودهم معه فإن السيف يشفي تلك العلل، وأن يفرح بفعله الذي لا ينازعه فيه أحد، ثم يذكر ذلك المثل " لا ناقة فيها ولا جمل " لاَ نَاقَتِي في هذا ولا جَمَلِي، و" أصل المثل للحارث بن عُباد حين قَتَلَ جَسَّاسُ بن مرةَ كليباً وهاجت الحربُ بين الفرقين وكان الحارثُ اعتزلها، قَال الراعى: (من البسيط)

وَمَا هَجرْتُكِ حَتَّى قُلْتِ مُعْلِنَةً لا نَاقَةٌ لِيَ فِي هذَا ولاَ جَمَلُ

يضرب عند التبرى من الظلم والإساءة "[١٠١].

وهكذا فإنه يمكننا القول إن ابن الساعاتي قد استطاع الإفادة من الأمثال العربية والقيام بتوظيفها في شعره ؛ لإيصال فكرته التي يرمي إليها، ونقل خواطره وأفكاره نقلا جميلا يذكر المتلقي بالمعاني التراثية الأصيلة.

الخاتمة

لقد كشفت هذه الدراسة عن الثقافة الواسعة التي كان لها عظيم الأثر في شعر ابن الساعاتي، مظهرة الروافد الثقافية التي كان الشاعر ينهل في توظيفها في شعره من خلال تأصيله نصه بالموروث الأدبي.

وقد قدمت هذه الدراسة عدة نتائج منها:

كشفت الدراسة عن التراث الأدبي في شعر ابن الساعاتي من خلال مبحثين، الأول: الشعر العربي القديم، والثاني: المثل العربي القديم.

بينت الدراسة أن التضمين كان له النصيب الوافر في شعره ؛ حيث ضمن من مختلف العصور والأزمنة التي قبله، فقد ضمن للعديد من الشعراء في العصور السابقة منها: الجاهلي وصدر الإسلام والأموي والعباسي.

كشفت الدراسة عن توظيف ابن الساعاتي للمثل العربي سواء كان شعريًّا أم نثريًّا، مما يدل على أنه كان مدركًا أهمية المثل العربي في تقوية المعنى وتأكيده.

الهوامش:

[1] – " الصورة الشعرية في شعر ابن الساعاتي " ص ١٤٣

[2] – " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " لابن رشيق القيرواني ،ج١ ، دار الجيل ، بيروت ، ط٤، ١٩٧٢م ، ص ١٣١

[3] – " صبح الأعشى "، هامش رقم (١) ص ١٩ ، بتصرف .

[4] –" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " لابن الأثير ، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، المكتبة العربية ، ١٤١١هـ ، ص ٣٢٦

[5] – " خزانة الأدب وغاية الأرب " المؤلف : تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري،الناشر : دار ومكتبة الهلال – بيروت،الطبعة الأولى ، ١٩٨٧تحقيق : عصام شعيتو، ص ٣١١

[6] – " لغة الشعر ، قراءة في الشعر العربي الحديث " د / رجاء عيد ، منشاة المعارف ، الإسكندرية ، ط١، ١٩٨٥م ، ص ٢٦

[7] – " التناص والتلقي " ماجد ياسين الجعافرة ، دار الكندي ، إربد ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢١،٢٠

[8] – " ظاهرة التضمين البلاغي دراسة في تضمين الشعراء العرب القدماء لمعلقة امرئ القيس " موسى ربابعة ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج١٤، ع ٢ ،١٩٩٦م ، ص ٤٢

[9] – " التضمين والتناص " منير سلطان ، منشأة المعارف ، ط١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٧٣

[10] – " تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن " ابن أبي الإصبع المصري ، تحقيق / حفني محمد شرف ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ص ٣٨٣

[11] – المصدر نفسه ، ص ٣٨٥

١٢ – " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلي

الناشر : المكتبة العصرية – بيروت ، ١٩٩٥،تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد، ج٢/ ٣٥٠

[13] – " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " لأحمد بن علي القلقشندي ، ج١ / ٣٢١

[١٤] – " ظاهرة التضمين البلاغي ، دراسة في تضمين الشعراء العرب لمعلقة امرئ القيس "موسى ربابعة ، مجلة أبحاث اليرموك ، مج ١٤، ع ٢ ، ١٩٩٦م ، ص ٤٢

[١٥] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٠٣/٢

[١٦] – " ديوان الشنفرى " جمع وشرح وتحقيق / محمد نبيل طريفي ، دار الفكر العربي ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص ٦٤

[١٧] – " ديوان ابن الساعاتي " ٥٥/٢

[١٨] – " المصدر نفسه " ١٢٥/٢

[١٩] – " المصدر نفسه " ٥٥/٢

[٢٠] – " ديوان الخنساء " شرح وتحقيق / عبد السلام الحوفي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٣٥

[٢١] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٥٨/١

[٢٢] – " ديوان المتنبي " ٢٩٢/١

[٢٣] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٤١/١

[٢٤] – " شرح ديوان أبي تمام " للخطيب التبريزي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه / راجي الأسمر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٤م ،١٣٥/٢

[٢٥] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٧/٢

[٢٦] – المصدر نفسه ، ٨٣/١

[٢٧] – " ديوان المتنبي " ١٨٥/٤

[٢٨] – " ديوان ابن الساعاتي " ٦٨/١

[٢٩] – " ديوان العباس بن الأحنف "شرح وتحقيق / عاتكة الخزرجي ،دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤م ، ص٦

[٣٠] – " ديوان ابن الساعاتي " ١ /٦٩

[٣١] – " ديوان مجنون ليلى – جمع وترتيب أبي بكر الوالبي " تحقيق وشرح / جلال الدين الحلبي ، مطبعة الحلبي ، ١٩٣٩م ،ص : ١٠

[٣٢] – " ديوان ابن الساعاتي " ٦٣/١

[٣٣] – " ديوان جميل بثينة " دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٢م ، ص : ٩٦

[٣٤] – " ديوان ابن الساعاتي " ٥٢/١

[٣٥] – " ديوان السموءل بن عادياء – رواية أبي عبد الله نفطويه " لويس شيخو اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت ، ١٩٢٠م ، ط٢ ، ص: ١٢

[٣٦] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٨٢/١

[٣٧] – " ديوان كعب بن زهير " صنعة الإمام أبي سعيد السكري ، تحقيق د/ مفيد قميحة ،دار الشواف للطباعة والنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٩٨٩م ، ص ١١٤

[٣٨] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٧٢/١

[٣٩] – " ديوان الشنفرى " ص : ٦٤

[٤٠] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٤١/٢

[٤١] – " ديوان المتنبي " ٢٥٢/٣

[٤٢] – " ديوان ابن الساعاتي " ٣٠٢/١

[٤٣] – " ديوان المتنبي " ٤٣١/٣

[٤٤] – " الصورة الشعرية في شعر ابن الساعاتي " ص :١٤٨

[٤٥] – " توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي " ص ٢٠٧

[٤٦] – " شعراؤنا القدامى – أبو الطيب المتنبي " عبد اللطيف شرارة ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص ١٢٤

[٤٧] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٦/٢

[٤٨] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٨٥/١

[٤٩] – " ديوان أبي فراس الحمداني " ٦٧

[٥٠] – " ديوان ابن الساعاتي " ٣١٧/٢

[٥١] – " ديوان أبي تمام " ٣٣/١

[٥٢] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٨٦/١

[٥٣] – " ديوان البحتري " شرحه وعلق عليه د/ محمد التونجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٤م ، ١٠٦٧/٢

[٥٤] – " ديوان ابن الساعاتي " ٣٣٣/٢

[٥٥] – " المصدر السابق " ٣٣٣/٢

[٥٦] – " المصدر السابق " ٣٣٣/٢

[٥٧] – " ديوان امرئ القيس " تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٨٤م ، ص: ١٨،١٩

[٥٨] – " ديوان النابغة الذبياني " تحقيق /كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٦٣م ، ص: ٩

[٥٩] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢٥٥/٢

[٦٠] – " سقط الزند "لأبي العلاء المعري ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٧م ، ص: ١٩٣

[٦١] – " الصورة الشعرية في شعر ابن الساعاتي " ص ١٥٠

[٦٢] – " توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي "ص ٢٤٤

[٦٣] – " التربية بضرب الأمثال " عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ص ١٩

[٦٤] – " نهاية الأرب في فنون الأدب " شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق / مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية – ط١، بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م ، ٤/٣

[٦٥] – " التربية عند العرب بضرب الأمثال " ص ١٩

[٦٦] – المرجع نفسه ، ص ٢٠

[٦٧] – " توظيف الموروث في شعر ابن سناء الملك " صقر خليل عبد العزيز ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، ص ١٣

[٦٨] – " المتاهات " جلال الخياط ، دار الشئون الثقافية العامة ، العراق ، ص ١١

[٦٩] – " بناء القصيدة العربية " د/ علي عشري زايد ، مكتبة دار العروبة ، بالكويت ، ١٩٨١م ، ص ١٢٨

[٧٠] – " المرجع السابق ، ص ١٢٨"

[٧١] – " أثر التراث في الشعر العراقي الحديث " علي حداد ، دار الشئون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٦م ، ص ١٥

[٧٢] – " توظيف الموروث في شعر ابن سناء الملك " صقر خليل عبد العزيز ، ص ١٤

[٧٣] – "المتاهات " جلال الخياط ، ص ١١

[٧٤] – " النص من القراءة إلى التنظير " محمد مفتاح ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٥

[٧٥] – " العمدة " لابن رشيق ، ص ١٩٧

[٧٦] – " المقدمة " لابن خلدون ، تحقيق حجر عاصي ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ٣٥٥

[٧٧] – المصدر السابق ، ٣٥٥

[٧٨] – " المصدر السابق " ،ص ٣٥٥

[٧٩] – انظر " قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر "حجازي سمير ، دار الآفاق العربية ، ط١، ص٧٤، ومقال "التناص في الشعر "محمد عزام ، مجلة الموقف الأدبي ، عدد ٣٦٨، دمشق

[٨٠] – " التناص في نماذج الشعر العربي الحديث "د/ موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، ,٢٠٠٠م ، ص ٧

[٨١] – " مقال نظرية التناص " حسين جمعه ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج ٧٥ ، ذو الحجة ، ١٤٢٠هـ ،٢٠٠٠م ، ص ٣١٧٣٨٠، انظر : " التناص والتلقي " ماجد ياسين الجعافرة ، دار الكندي ، إربد ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، ص ١٩

[٨٢] – " ديوان ابن الساعاتي " ٥٧/٢

[٨٣] – " مجمع الأمثال " أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري ، دار المعرفة – بيروت ،تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ٢٩١/١

[٨٤] – " المستقصى في أمثال العرب " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دارالكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧ ، ١٤٧/١

[٨٥] – " ديوان الساعاتي " ٢٧٧/١

[٨٦] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٩٩/٢

[٨٧]– " جمهرة الأمثال " أبو هلال العسكري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش ، دار الفكر ، ط٢ ،٣٢٥/٢

[٨٨] – "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب "عبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م ، بيروت ، ٣٤٥/١

[٨٩] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٥/٢

[٩٠] – " مجمع الأمثال " ٥٩/١

[٩١] – " ديوان ابن الساعاتي " ١٠٧/٢

[٩٢] – " المستطرف في كل فن مستظرف " شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي ، تحقيق : د.مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ م ، ١٦٤/١

[٩٣] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢/ ١٤

[٩٤] – " مجمع الأمثال " ٤٠٩/٢

[٩٥] – " المصدر نفسه " ١٨٨/١

[٩٦] – " مجمع الأمثال " ١٤٣/٢

[٩٧] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢/٣٥٠

[٩٨] – " المصدر السابق " ٢/٧٦

[٩٩] – " مجمع الأمثال " ٢/١٦٢

[١٠٠] – " ديوان ابن الساعاتي " ٢/٣٥٤

[١٠١] – " مجمع الأمثال "٢/٢٢٠

المصادر والمراجع

- " التناص والتلقي " ماجد ياسين الجعافرة، دار الكندي،إربد، ط١،٢٠٠٣م
- " المستطرف في كل فن مستظرف " شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الثانية، ١٩٨٦ م
- " جمهرة الأمثال " أبو هلال العسكري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط٢
- " أثر التراث في الشعر العراقي الحديث " علي حداد، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م
- " التربية بضرب الأمثال " عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م
- " التضمين والتناص " منير سلطان، منشأة المعارف، ط١، ٢٠٠٤م
- " التناص في نماذج الشعر العربي الحديث "د/ موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع،, ٢٠٠٠م
- " التناص والتلقي " ماجد ياسين الجعافرة، دار الكندي، إربد، ط١، ٢٠٠٣م
- " العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده " لابن رشيق القيرواني،ج١، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٩٧٢م
- " المتاهات " جلال الخياط، دار الشئون الثقافية العامة، العراق.
- " المتاهات " جلال الخياط، دار الشئون الثقافية العامة، العراق
- " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" لأبي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد ابن محمد بن عبدالكريم الموصلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥،
- " المستقصى في أمثال العرب " أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دارالكتب العلمية – بيروت، ط٢، ١٩٨٧م
- " المقدمة " لابن خلدون، تحقيق حجر عاصي، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦م
- " النص من القراءة إلى التنظير " محمد مفتاح، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط٢، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م

– " بناء القصيدة العربية " د/ علي عشري زايد، مكتبة دار العروبة، بالكويت، ١٩٨١م

– " تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن " ابن أبي الإصبع المصري، تحقيق / حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م

– " توظيف التراث في شعر صفي الدين الحلي " وائل عبد الله مفلح، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب، الأردن، ٢٠٠٨م.

– " توظيف الموروث في شعر ابن سناء الملك " صقر خليل عبد العزيز، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ٢٠١١م

– " خزانة الأدب وغاية الأرب " المؤلف: تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال – بيروت،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م

– " ديوان ابن الساعاتي" تحقيق الأستاذ أنيس المقدسي، المطبعة الأميركانية، بيروت، ١٩٣٨م

– " ديوان أبي فراس الحمداني " شرح وتقديم / عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية،بيروت، ط٣،١٤١٣هـ،١٩٩٣م

– " ديوان البحتري " شرحه وعلق عليه د/ محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م

– " ديوان الخنساء " شرح وتحقيق / عبد السلام الحوفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م

– " ديوان السموءل بن عادياء – رواية أبي عبد الله نفطويه " لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٠م، ط٢

– " ديوان الشنفرى " جمع وشرح وتحقيق / محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م

– " ديوان العباس بن الأحنف "شرح وتحقيق / عاتكة الخزرجي،دار الكتب المصرية، ١٩٥٤م

– " ديوان النابغة الذبياني " تحقيق /كرم البستاني، دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٦٣م

– " ديوان امرئ القيس " تحقيق /محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٩٨٤م

– " ديوان جميل بثينة " دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٢م

– " ديوان كعب بن زهير " صنعة الإمام أبي سعيد السكري، تحقيق د/ مفيد قميحة،دار الشواف للطباعة والنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٩٨٩م

– " ديوان مجنون ليلى – جمع وترتيب أبي بكر الوالبي " تحقيق وشرح / جلال الدين الحلبي، مطبعة الحلبي، ١٩٣٩م

– " سقط الزند "لأبي العلاء المعري، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٧م

– " شرح ديوان أبي تمام " للخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه / راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م

– " شرح ديوان المتنبي– معجز أحمد "شرح أبي العلاء المعري، تحقيق د/ عبد المجيد دياب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٨م

– " شعراؤنا القدامى – أبو الطيب المتنبي " عبد اللطيف شرارة، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨م

– " صبح الأعشى في صناعة الإنشا " لأحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د.يوسف علي طويل، دار الفكر – دمشق،الطبعة الأولى، ١٩٨٧م

– " ظاهرة التضمين البلاغي، دراسة في تضمين الشعراء العرب لمعلقة امرئ القيس "موسى ربابعة، مجلة أبحاث اليرموك، مج ١٤، ع ٢، ١٩٩٦م

– " ظاهرة التضمين البلاغي دراسة في تضمين الشعراء العرب القدماء لمعلقة امرئ القيس " موسى ربابعة، مجلة أبحاث اليرموك، مج١٤، ع ٢،١٩٩٦م

– " قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر "حجازي سمير، دار الآفاق العربية، ط١، ص٧٤، ومقال "التناص في الشعر "محمد عزام، مجلة الموقف الأدبي، عدد ٣٦٨، دمشق

– " لغة الشعر، قراءة في الشعر العربي الحديث " د / رجاء عيد، منشاة المعارف، الإسكندرية، ط١، ١٩٨٥م

– " مجمع الأمثال " أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت.

– " مقال نظرية التناص " حسين جمعه، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق، مج ٧٥، ذو الحجة، ١٤٢٠هـ،٢٠٠٠م

– " نهاية الأرب في فنون الأدب " شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق / مفيد قميحة، دار الكتب العلمية – ط١، بيروت / لبنان – ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م

- "خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب "عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م، بيروت

- الصورة الشعرية في شعر ابن الساعاتي " سهام راضي محمد حمدان، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، ٢٠١١م

-" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " لابن الأثير، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العربية، ١٤١١هـ.